



حبر أبيض
WHITE INK



أ.د. حياة الرشيدى

التأثير السياسي الفارسي في الخليج العربي وتحالف نابليون بونابرت

في ذروة الحروب النابليونية الاستعمارية قادت مخاوف بريطانيا من غزو فرنسي محتمل للهند عبر بلاد فارس إلى مفاخرة تدخلها في الخليج.

وخلال الحروب النابليونية (1803-1815) كانت ممتلكات بريطانيا الاستعمارية في الهند هدفًا مثيرًا لفرنسا، حيث كانت الهند مصدرًا مهمًا لثروات بريطانيا، وكان لتهديد مُقْتَع أن يتكفل بتحويل اهتمام بريطانيا ومواردها بعيدًا عن النزاع في أوروبا، ولذلك سعى نابليون إلى غزو الهند عبر بلاد فارس، وتُصيبت سجلات مكتب الهند اللثام عن رد بريطانيا، الذي جرَّها إلى المزيد من التدخل في كل من بلاد فارس والخليج.

فكَّر نابليون بمهاجمة الهند في وقت مبكر يرقى إلى عام 1798م، في نفس الوقت الذي كان قد غزا فيه مصر وسورية، وحاول تشكيل تحالف مع سلطان ميسور، السلطان تيبو، ضد البريطانيين. وفي عام 1805م سنحت فرصة أخرى عندما سعى شاه بلاد فارس، فتح علي شاه قاجار، لطلب مساعدة عسكرية وتحالف لمواجهة الإمبراطورية الروسية.

وفي خضم تلك الأحداث التمس الشاه المساعدة البريطانية والفرنسية، وذلك استغلالًا لقوات دولتين تتنافس على الوجود في منطقة الخليج العربي، وفي أعقاب غزو روسيا للمقاطعات القوقازية التابعة لبلاد فارس عام 1804م، وحرصًا منه على اغتنام الفرصة، أرسل نابليون مبعوثين اثنين عام 1805م، راقبهما البريطانيون بحذر، وتتضمَّن مذكرات مقيمة بوشهر للعامين 1806-1807م عددًا من التقارير عن وصول أحد المبعوثين، بيير أميدي جوبير، إلى طهران في أكتوبر 1806م.

وتأتي نتيجة الطموح للتحالف الفارسي الفرنسي بأن أعجب الشاه بانتصارات نابليون في أوروبا، ووافق على إرسال مبعوث له، وعليه اجتمع ميرزا محمد رضا خان قزويني مع نابليون في قصر فينكينشتاين في النمسا، حيث وقَّعا على معاهدة تحالف في مايو 1807، ووافق نابليون على تقديم مساعدة عسكرية ودبلوماسية ضد روسيا، بينما وافق الفرس على قطع العلاقات مع البريطانيين، والسماح للجيش الفرنسي بالزحف عبر بلاد فارس إلى الهند.

أرسل نابليون على الفور حملة عسكرية بقيادة الجنرال كلود-ماثيو دو جاردان، حيث وصلت الحملة إلى طهران في ديسمبر 1807، وكان على جاردان تقديم المساعدة العسكرية، وتقييم جدوى غزو الهند عن طريق البر.

وكان التمركز البريطاني في الخليج

وقد أثارت تقارير عن تعميق العلاقات الفرنسية-الفارسية القلق في كل من لندن وبومباي؛ إذ كان البريطانيون قد بدأوا بإدراك الأهمية الإستراتيجية للخليج للدفاع عن الهند إبان حملة نابليون السابقة في مصر وسورية، ولتقويض النفوذ الفرنسي في المنطقة أقامت بريطانيا مقيمة بغداد عام 1798م، وأرسلت مبعوثين إلى بلاد فارس، مهدي علي خان عام 1798م، وجون مالكوم عام 1800م، وأسفرت حملة مالكوم، الحملة الأسطورية في بلاد فارس لعظمتها، عن توقيع معاهدة سياسية وتجارية عام 1801م.

وبحلول عام 1807 كانت التقارير الاستخباراتية البريطانية تدق ناقوس الخطر عن زحف جيش مؤلَّف من 12000 جندي، بقيادة الجنرال المخضرم جاك-فرانسوا مينو، باتجاه الهند عبر بلاد فارس، وفي نوفمبر كتب القائم بأعمال المقيم البريطاني في بغداد، جون هايند، إلى المقيم في بوشهر، نيكولاس هانكي سميث، عن الوصول المرتقب لمبعوث الجنرال جاردان إلى طهران، محذِّرًا من أن "الفرنسيين يحتشدون في بلاد فارس".

تسارعت الأحداث، وذلك بإرسال حملات عسكرية ضد الفرس، ومنها حملة مالكوم إلى بوشهر في مايو 1808م، وبصحبه قوة مرافقة من 500 جندي، وهنا قام الفرس باعتقاله بسبب وجود جاردان في طهران، ولأنه كان محبَّبًا من التأخير، هدَّد مالكوم باحتلال خارج، أبلغ نيكولاس هانكي سميث المقيم في البصرة، صمويل مانيستي، بأن مالكوم كان قد نوى التقدم نحو خارج، إلا أنه كان ينتظر الأوامر التي تسمح له بالتصرف بصراحة أكبر تجاه الحكومة الفارسية في حال اقتضت الظروف، وستأتي ضربة قاضية ضد المكر الفارسي والفرنسي، حيث شهدت مغادرة جاردان تراجع آمال نابليون بغزو الهند عن طريق البر، وبحلول شهر مارس كان جونز قد أبرم معاهدة أولية مع بلاد فارس، مُقَصِّيًا بذلك الفرنسيين، وأرست المعاهدة التي تمت المصادقة عليها عام 1814م الأساس لعلاقات أنجلو-فارسية مستمرة وثيقة.

ونتيجة لتلك الأحداث، ورغم تحالف نابليون مع بلاد فارس وإن كان عابِرًا، فقد كانت له تبعات دائمة، حيث إن الأهمية الإستراتيجية للمنطقة دفعت الحكومة البريطانية إلى إخراج فرنسا من بلاد فارس بشكل نهائي، وعزَّز اهتمام حكومة الهند الخفي بتأسيس قاعدة في الخليج.

قد تُستغرب الأحداث وأبطالها، ولكنه تاريخ..